مذكور لزهر
مديرية التربية – سطيف
medkour.lazhar@yahoo.fr

مواقف الحركة الوطنية الجزائرية من المشروع الثقافي الفرنسي

الملخص :

تتميز الحركات الوطنية بأن لكل حركة خلفية فكرية (أيديولوجية) انطلقت منها ، وهذه الخلفية تؤثر في التصورات ووجهات النظر حول نوعية الثقافة التي يجب أن تسود المجتمع الجزائري، وبذلك فهي تنظر للمشروع الثقافي الفرنسي بنظرات مختلفة منها من لم يعارض المشروع الثقافي الاستعماري ومنها من رفض هذا المشروع وقام بجهود لإحياء الثقافة الوطنية، وعلى هذا الأساس تأتي هذه الورقة محاولة للتعرف على أساليب ومكونات المشروع الثقافي لاستعماري في محاولة طمس الشخصية الوطنية الجزائرية، انطلاقا من التساؤلات التالية:

- ما الذي أدى بالحركة الوطنية إلى رفض المشروع الثقافي الفرنسي واستبداله بمشروع تربوي وطني ؟
- وإلى أي مدى حاولت كل حركة الأخذ بالبعد الوطني التربوي في مشروعها الثقافي ؟ وهل تضمن المشروع السياسي هذه الأبعاد و خاصة المضامين التربوية ؟

الكلمات المفتاحية: مواقف، الحركة الوطينة الجزائرية، المشروع الثقافي الفرنسي

رغم ما كان يقوم به الاستعمار الفرنسي من محاولات تدميرية للقضاء على مكونات الشخصية الوطنية الجزائرية ، وهذه الإستراتيجية التدميرية انطلت من رؤى نظرية ناتجة عن دراسة المجتمع الجزائري و معرفة نقاط ضعفه وقوته (إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية ، إلا لأنه درس «أوضاعنا النفسية دراسة عميقة ، وأدرك منها موطن الضعف فسخرنا لما يريد.. . حتى أصبح يتصرف في بعض مواقعنا الوطنية ، وحتى الدينية من حيث نشعر أو لا نشعر) [1]

وبذلك نجد أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر عند تطبيق سياساته الهادفة إلى طمس الشخصية الجزائرية ، كان ينطلق من رؤى نظرية ناتجة عن دراسة المجتمع الجزائري ومعرفة نقاط ضعفه و قوته. فالمستعمر منذ دخوله إلى الجزائر أدرك حقيقة باستطاعتها ضمان بقائه وهي طمس الشخصية الجزائرية وهذا بإحلال تربية تخدم مصالحه.

[1] بن نبي مـالك : "شــروط النهصة " دار الفكر - دمشق - 1981- ص : 155

لقد عاش الشعب الجزائري قرابة قرن من الزمان تحت نير الظلم و الاستبداد عانى خلالها الكثير .و قد استنشق الوعي من دعاة الإصلاح فكان ذلك إيذانا بصحوة و تطلعات جديدة مناهضة للواقع

الاستعماري المعاش ,و قد تمخض عنها وعي سياسي قومي أكد على ضرورة دق ناقوس الخطر تجاه هده الوضعية المزرية , و من انعكاسات هدا الوعي ظهور حركة وطنية سياسية كنمط ثاني في النضال بعد الثورات المسلحة وتميزت هذه الحركة الوطنية في الاختلاف في مطالبها ، وقد تشكل

تيارات داخل الحركة الوطنية ، وطبعا أن لكل حركة خلفية فكرية (أيديولوجية) انطلقت منها ، وهذه الخلفية تؤثر في التصورات ووجهات النظر حول نوعية الثقافة التي يجب أن تسود المجتمع الجزائري، وبذلك فهي تنظر للمشروع الثقافي الفرنسي بنظرات مختلفة منها من لم يعارض المشروع الثقافي الاستعماري ومنها من رفض هذا المشروع وقام بجهود لإحياء الثقافة الوطنية .

وعلى هذا الأساس تأتي هذه الورقة محاولة للتعرف على أساليب ومكونات المشروع الثقافي لاستعماري في محاولة طمس الشخصية الوطنية الجزائرية وتم تصنيف هذه المداخلة إلى ثلاثة أقسام :

- الأول **ضبط مفهوم الشخصية الوطنية (الطابع الوطني)**
- الثاني **مكونات المشروع الثقافي الاستعماري**
- والثالث **مجهودات الحركة الوطنية لتصدي له .**

الإشكالية:

رغم ما كان يقوم به الاستعمار الفرنسي من وضع العوائق في وجه الشعب الجزائري إلا أنه ظهرت حركة وطنية سياسية كنمط ثاني في النضال بعد الكفاح المسلح , وتميزت هذه الحركة الوطنية في الاختلاف في مطالبها , وقد نتج عن ذلك تشكل تيارات داخل الحركة الوطنية , وطبعا إن لكل حركة خلفية فكرية (أيديولوجية) انطلقت منها , وطبعا هذه الخلفية تؤثر في التصورات ووجهات النظر حول نوعية الثقافة التي يجب أن تسود

المجتمع الجزائري , وبذلك فهي تنظر للمشروع الثقافي الفرنسي بنظرات مختلفة منها من لم يعارض المشروع الثقافي الاستعماري و منها من رفض هذا المشروع , وقام بجهود لإحياء الثقافة الوطنية .

حيث نجد " جمعية العلماء المسلمين وضعت أهدافا أساسية لها مثل بقاء الجزائر عربية مسلمة, ورسمت لها طريقا صريحا هو الحفاظ على اللغة العربية و الإسلام و الشخصية الجزائرية. فوضعت خطة لنشر التعليم العربي الإسلامي الخالص على مرحلتين في المدن و القرى, و بدأت بإنشاء المدارس التي تقوم على سياسة مناهضة للسياسة الفرنسية التعليمية " [1].

و كذلك نجد أن حزب الشعب الجزائري سعى إلى المساهمة في نشر التعليم العربي الحر , فأسس لذلك عددا من المدارس [2] , كما أن المقررات الدراسية التي اتخذتها مدارس هذا الحزب كانت متشابهة لتلك الخاصة بمدارس جمعية العلماء [3].

إن جل الدراسات التاريخية حول الحركة الوطنية تمحورت حول الجانب السياسي مع الإشارة إلى أن هناك تيارات رفضت الثقافة الفرنسية , وبذلك هي رفضت المشروع الاستعماري دون أن تحاول الإجابة على :

- ما الذي أدى بالحركة الوطنية إلى رفض المشروع الثقافي الفرنسي واستبداله بمشروع تربوي وطني ؟
- وإلى أي مدى حاولت كل حركة الأخذ بالبعد الوطني التربوي في مشروعها الثقافي ؟ وهل تضمن المشروع السياسي هذه الأبعاد و خاصة المضامين التربوية ؟

وللإجابة على هذا السؤال, قمنا بهذه الدراسة.

[1]– عبد العاطي محمد أحمد " الإسلام و العروبة في المغرب العربي". مجلة " قضايا عربية". بيروت .حزيران يونيو 1979. ص: 269
[2]– د.تركي رابح:" التعليم القومي و الشخصية الوطنية " . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر .ط2.1981.ص:250
[3]– نفس المصدر السابق . ص: 284

الفرضية:

ظهور الحركة الوطنية الجزائرية تزامن مع انقسام العالم إلى معسكرين , شرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي و غربي بزعامة أمريكا , وفي ظل انتشار الحركات التحررية في آسيا و إفريقيا , و ظهور الحركات الإصلاحية في العالم العربي و الإسلامي بزعامة جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و عبد الرحمن الكواكبي.

بدأت تتضارب مطالب الحركة الوطنية تبعا للتنوع الأيديولوجي السائد آنذاك , مما نتج عنه ثلاثة اتجاهات أساسية تتمثل في : الاتجاه الإصلاحي , الاستقلالي و الاندماجي.

بناءا على ما سبق نستطيع بناء الفرضية العامة الآتية :

إن التضارب الذي ساد مواقف الحركة الوطنية الجزائرية تجاه المشروع الثقافي الاستعماري منتوج التنوع الإيديولوجي الذي ساد المرحلة على الساحة الوطنية و الدولية .

إن الانطلاق من العوامل المحلية لبناء طابع وطني و بذلك نحافظ عل خصوصيتنا و نكون كيانا متميزا عن غيرنا , و لا نقبل الذوبان , و الذي يحدد كل ذلك هو العامل الوطني الذي كان هو الدافع الأساسي لتقرير الشعوب لمصيرها , وبذلك نستطيع صياغة الفرضية الجزئية التالية:

الوطنية هي التي أدت بالحركة الوطنية الجزائرية إلى رفض المشروع الثقافي الفرنسي و استبداله بمشروع وطني متضمن أبعاد وطنية.

المنهج التاريخي:

المنهج المناسب لدراستنا هذه هو المنهج التاريخي , وقد عرف DE LANDSEERE البحث التاريخي بقوله : " يعمل البحث التاريخي على استرداد تطور الأحداث و تفسير مسارها , بالتركيز على معانيها الخاصة في النسق الذي ظهرت فيه"[1].

و المنهج التاريخي يسمح للباحث بالتعرض للأحداث التاريخية بالدراسة و التحليل , من حيث تفسير أسباب وقوعها تفسيرا علميا و منطقيا , و الوقوف على النتائج التي ترتبت عنها.

[1]-De landsheere. G : «introduction à la recherche en éducation ».ed.A.colin-Bourrelier ,paris,4emed,1979,p43.

و تستمد الدراسات التاريخية أهميتها من العوامل الآتية :

1- إنها تساهم في الكشف عن النظريات العلمية و الأساليب التي يعتمد عليها السابقون لحل مشاكلهم و التغلب على الصعاب التي واجهتهم آنذاك .

ومن خلال دراسة تلك النظريات و الأساليب يمكن الربط بين الظواهر الحالية و الظواهر الماضية.

2- إنها تساعد على فهم الجوانب الإيجابية و الجوانب السلبية بالنسبة لحياة الناس في الماضي و يسعى للاستعانة بها في حل مشاكله الحالية, و يأخذ العبرة من نقاط الضعف فيعمل على تجنبها.

3- إنها تعطي فكرة مصغرة عن العلاقة بين الظواهر الاجتماعية و العوامل التي أدت إلى نشأة و بروز تلك المشاكل التي واجهها الناس في فترة معينة من الزمن [1].

منهج تحليل المحتوى: يستخدم هذا المنهج في تحليل الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية القائمة في أي مجتمع في الماضي و الحاضر و المستقبل . و هذا النوع من الأبحاث مفيد بالنسبة لمعرفة عوامل التغير الاجتماعي وردود أفعال الناس لقرارات القيادة السياسية [2] .وقد عرفت L. BARDIN التحليل الوثائقي بقولها :" عملية أو مجموع العمليات التي تهدف إلى تمثيل محتوى وثيقة معينة على شكل يختلف عن شكلها الأصلي من أجل تسهيل المعاينة أو وضعها في مرحلة لاحقة".[3].

شبكة التحليل:

لقد بنينا شبكة التحليل على أساس نظرية نيكولا هانز , حيث يرى هذا الأخير خمسة عوامل في تشكيل الأمة المثالية وهي:

1- وحدة الجنس

2- وحدة الدين

[1]- عمار بوحوش :" دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية" المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر1985 ص 24.25.

[2]- عمار بوحوش :" دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية" المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر1985 ص 33.

[3]- Bardin.L : « l'analyse du contenu ». ed : p.u.f,paris,2em ed , 1980 , p :46.

3- وحدة اللغة

4- وحدة الأرض

5- السيادة السياسية[1].

ويرى أن شخصية الأمة هي نتيجة تفاعل الظروف التاريخية و الدينية و اللغوية و السلالية[2].

لقد بنينا شبكة تحليلنا على ثلاثة عوامل نراها أساسية في الشخصية الجزائرية و هي : الوطن الجزائري , الدين الإسلامي , اللغة العربية.

لأن من يدافع على هذه العوامل هو بذلك يحافظ على شخصية الأمة , و يحافظ بذلك على التمايز و التغاير عن غير, وبذلك هو لا يريد الذوبان في غير , لأن الذوبان يفقد كل شيء مميز.

لأن من يدافع على العوامل التالية: الدين الإسلامي, اللغة العربية , الوطن الجزائري , هو بذلك يدافع عن التاريخ الجزائري و الثقافة العربية الإسلامية.

و الشبكة مبينة على المعايير التالية:

- الدين الإسلامي
- اللغة العربية
- الوطن الجزائري

لأن الشخصية الجزائرية تكونت من تفاعل هذه العوامل و نتيجة لذلك فلا بد أن يكون هناك تاريخ لان العوامل السابقة الذكر ضاربة في أغوار الماضي . ونتيجة هذا التفاعل تكونت ثقافة وطنية مميزة ذات أبعاد عربية إسلامية.

ونطبق هذه الشبكة على برامج و مطالب كل حركة , ثم على التجمعات الوطنية (المؤتمر الإسلامي).

[1]–د.منير مرسي:" الاتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة" عالم الكتب . القاهرة .1974. ص 46.
[2]– نفس المرجع السابق : ص47.

تحديد المصطلحات :

1– مفهوم الوطنية : يجدر بنا قبل أن نتطرق إلى مفهوم الوطنية أن نزيل التداخل الموجود بينها ومنين بعض المفاهيم القريبة منها كالقومية والجنسية . إذ الوطنية تشكل كما يقول إسماعيل محمد هاشم : " رابة الحنان العزيز الذي يربط شخصا ما بالأرض التي ولد عليها أو يعيش في كنفها , فهي إذن بهذا المعنى رابطة مكانية "[1] أما فيما يتعلق بمفهوم القومية ,فهي على العكس من ذلك , فهي لا ترتبط بالأرض بل بالأشخاص , وهي بهذا المعنى أيضا تشكل رابطة إنسانية .

وأما الجنسية فيصف الكاتب أنها حالة قانونية تفيد تبعية الفرد لدولة معينة, أي أنها رابطة سياسية قانونية مادية تقوم على أساس تقسيم العالم إلى دول.

ويبدو كما يقول منذر معاليقي أن فكرة الوطنية كمفهوم حديث عند العرب عموما , جاءتهم مع الغزو الثقافي الغربي وما أنجز عنه من احتكاك فكري , ثم ترسخ هذا المفهوم بسبب السيطرة الاستعمارية والاستقلال . [2]

ويتناول مصطفي الأشرف مفهوم الوطنية الجزائرية بشيء من التحليل تماما في طبيعتها عن الحركات التي نشأت في المشرق [3]. ويعلل ذلك بأنها نشأت نتيجة للأزمة الزراعية الحادة التي شهدتها البلاد , وكنتيجة كذلك للطبقية التعسفية في الحقوق بين الجزائريين والمستعمرين , كذلك نظرا للسياسة التي تسعى إلى قمع كل حركة تنادي باسترجاع السيادة الوطنية .

وقد أدى الصراع القائم بين الوطنية والتعمير إلى نشوب العديد من الثورات والانتفاضات واستقرار العدد الكبير من المستوطنين بالجزائر .

إذن نلاحظ أن منشأ الوطنية هو الريف الجزائري انطلاقا من إدراك الفلاحين للخطر الذي يهددهم بالدرجة الأولى أكثر من سكان المدن, وذلك ما دفعهم إلى الكفاح المسلح "تعبيرا عن وطنهم " كما يقول مصطفى الأشرف [4].

[1] إسماعيل محمد هاشم , المقومات الثقافية للمجتمع العربي ص 67
[2] مندر معالقي , معلم الفكر العربي , دار إقرأ , بيروت 1986 , ص 155
[3] مصطفى الاشرف : الجزائر الأمة والمجتمع ترجمة د/ حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1984 ص 75
[4] مصطفى الأشرف : الجزائر الأمة والمجتمع ص 765

ولكن الوطنية الريفية هذه انتهت من أداء دورها بعد الثورة الشعبية التي قامت في 1871 وتواصلت على فترات متقطعة حتى 1884 . وتجدر بنا الإشارة هنا أن مفهوم الوطنية الجزائرية ليست وليدة الثورة ولكن هي ضاربة بجذورها في التاريخ البعيد منذ الأيام الأولى من الاحتلال .

تلك الوطنية التي غلب عليها الطابع الريفي وهدا طبعا نظرا لطبيعة الحياة الجزائرية القديمة المعتمدة أساسا على الزراعة. ثم توسعت فيما بعد لتشمل أراضي البلاد كلها .

وكان الهدف هو الاحتفاظ بملكية الأراضي . وبهذا نستنتج أن الدافع الأساسي للكفاح المسلح هو شعور الجزائريين بانسداد أفاق مستقبلهم , بحيث أنهم شعروا منذ 1830 بأنهم فقدوا بسبب هذا الاستعمار أمورا لا يمكن

الاستغناء عنها وهي الأرض والحرية والمؤسسات القومية واللسان القومي العربي والوطنية الجزائرية – كما يقول أبو القاسم سعد الله [1] : " فهي الشعور الوطني المشترك الوفي للجزائري نحو أمة . وهذه الحالة العقلية ".كما يقول الأستاذ كوهن , " إرادة أن تكون أمة " أو كما يقول الأستاذ هرتز , فقد وجدت بين الجزائريين منذ قرون , ولكن خطر الاحتلال فقط هو الذي صقلها في محتواها التاريخي كقوة سياسية تصارع من أجل البقاء ".

التعريف الإجـرائي لمفهوم الوطنية :

انطلاقا من هذا التعريف فإن الوطنية الجزائرية تتمثل في الوفاء للأمة,وذلك يعني الوفاء لمقومات هذه الأمة , وهذه المقومات كونت شخصية الأمة إذن يمكن أن نقول أن :" الوطنية الجزائرية هي الوفاء لمقومات الشخصية الجزائرية بالدفاع عنها , وعدم قبول غيرها من المقومات" أي أن الوطنية الجزائرية ترفض كل ما هو دخيل على الشخصية الجزائرية, من شأنه أن يتسبب من تمزيق لشبكة العلاقات الاجتماعية الثقافية.

2–مفهوم الطابع الوطني :

إن نظرية نيكلا هانز تتركز حول نقطة هامة هي أن النظم القومية للتعليم تمثل التعبير الخارجي للنمط القومي

وشخصية الأمة أو الطابع القومي تكشف عن شيء مميز للشعب الذي بنيت فيه.

[1] سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ج 2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع للجزائر 1983 ص71/70

أي أن الطابع القومي هو المعيار الجوهري المميز للشعب الذي بني فيه. ولقد أشار هانز إلى العوامل التي تعمل على تكوين الأمة المثالية وهذه العوامل هي :

1]– وحدة الجنس **2]**– وحدة اللغة 3]– وحدة الأرض 4]– وحدة الدين 5]– السيادة الوطنية

ويذهب إلى أن شخصية الأمة هي نتيجة تفاعل الظروف التاريخية والجغرافية والدينية واللغوية والسلالة , ولابد للنظم التعليمية أن تتأثر بهذه العوامل .

إذن: الطابع الوطني هو مجمل المقدمات, الأفكار, العادات, التقاليد , الدين, اللغة في تفاعلها مع بعضها البعض

3- المشروع الفرنسي – تعريف إجرائي-

المشروع الثقافي الفرنسي هو المخطط الذي سطرته إدارة الاحتلال انطلاقا من رؤى نظرية بغية الوصول إلى غايتين هما: – طمس الشخصية الجزائرية . – إحلال تربية تخدم مصالحه .

4- الحركة الوطنية:- تعريف إجرائي-

الحركة الوطنية هي الاتجاه السياسي في الكفاح قامت على أنقاض الكفاح المسلح (الثورات, الانتفاضات), وبرزت على شكل ثلاث تيارات رئيسية:

1- التيار الاستقلالي متمثلا في نجم شمال إفريقيا

2- التيار الإصلاحي بزعامة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

التيار الاندماجي يمثله الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. وقد انقسمت الحركة الوطنية على هذا الشكل بسبب الخلفية الفكرية (الأيديولوجية) لكل حركة. -4

المشروع الثقافي الاستعماري

(إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية ، إلا لأنه درس «أوضاعنا النفسية دراسة عميقة ، وأدرك منها موطن الضعف فسخرنا لما يريد.. . حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية من حيث نشعر أو لا نشعر ([1]

[1] بن نبي مالك: "شروط النهضة " دار الفكر – دمشق – 1981- ص : 155

وبذلك نجد أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر عند تطبيق سياساته الهادفة إلى طمسا الشخصية الجزائرية، كان ينطلق من رؤى نظرية ناتجة عن دراسة المجتمع الجزائري ومعرفة نطاق ضعفه و قوته. فالمستعمر منذ دخوله إلى الجزائر أدرك حقيقة باستطاعتها ضمان البقاء، وهي طمس الشخصية الجزائرية وهذا بإحلال تربية تخدم مصالحه.

ومن خلال هذا الفصل ستناول فلسفة المشروع الاستعماري، وأسس تربيته، ومحتواها، وأساليبها، حتى نتعرف على مكونات هذا المشروع وأهدافه.

وهذا ضروري لنعرف كيف حاول الاستعمار الفرنسي بشتى الوسائل التي استخدمها، لتحقيق غايته .

1- فلسفة المشـروع الاستعماري :

انتهج الاستعمار الفرنسي منذ دخوله للجزائر طريقتين لتحقيق أهدافه المتمثلة في طمس الشخصية الوطنية بشتى مقوماتها هذين المنهجين أو الطريقتين يوردهما بو فلجة غياث[1] هما:

مرحلة هدم مقومات الشخصية الوطنية ومرحلة إحلال تربية موالية محلها.

إضافة إلي مظاهر هدم مقومات الشخصية الوطنية المختلفة من تهديم للمساجد والزوايا والمدارس الإسلامية وتقتيل العلماء المسلمين وتشريد المتعلمين، عكف الاستعمار لإرساء ثقافته وهويته، وقد جسد هذا بتشجيع التعامل باللغة الفرنسية ومساعدة المبشرين.

الفلسفة المتبناة من طرف الاستعمار لن تمس الجانب التربوي فقط، بل تعدته إلى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري ،وما يهمنا في بحثنا هو علاقة هذه الفلسفة أو هذه السياسة بالجانب التعليمي والتربوي، فأهمية الأمر تكمن في أنها تمس بثقافة وهوية أمة بكاملها.

ويلخص مباركي بوحفص[2] الأهداف التربوية للمشروع الاستعماري في النقاط التالية:

1- تجهيل الجزائريين ويقابله الرفع بالمستوى التعليمي للمعمرين.

[1]بوفلجة غياث، انعكاسات التربية الغربية علي الشعوب الإسلامية ، دار الكتاب الجامعي القاهرة ، ط1، 1991، ص 53

[2] مباركي بوحفص، سياسة الأهداف التربوية من خلال المشروعين الوطني والفرنسي في الجزائر، في: قراءات في الأهداف التربوية ، كتاب الرواسي ط1 1994 ص 45- 61

2- استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية في جميع مجالا ت الحياة.

3- محاربة الدين الإسلامي بتنصير الجزائريين والقضاء على مؤسسات تعليم الدين الإسلامي.

4-وانطلاقا من كل هذا يمكـن إلحاق الجزائر نهائيا من فرنسا.

ولعل أهم مظهر من مظاهر هذا المشروع هو تجهيل الشعب بعد أن بات من الصعب على المستعمر الفرنسي، إن لم نقل من المستحيل تنصير هذا الشعب، لأن الدين الإسلامي وتعاليمه كانت تسري في دم الجزائريين مسرى عميقا. لذلك لجأ الاستعمار إلى سياسة التجهيل بالقضاء على المساجد والمدارس الإسلامية ، رغم سماحه بتعليم القرءان الكريم في بعض الأماكن ، ومع هذا منح تفسيره. حتى أن دور الزوايا انحرف عن طريقه الأول ، فأصبحت تبث الخرافات و الأكاذيب بين صفوف الشعب وانحصر دورها إلى حد كبير.

2- أسس التربية الاستعمارية في الجزائر :

هدف المشروع التربوي الاستعماري إلى إقامة نموذج تربوي خاص تمثله المؤسسة المدرسية التي غايتها مواصلة تهد مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية . وقد تعددت و تفرعت الأسس التي انطلق منها الاستعمار في إرساء تربية استعمارية في الجزائر.

قسم بن مرسلي حسين [1] هذه الأسس إلى قسمين : خاصة بالاستعمار، وأسس عامة تتعلق بالعوامل الأخرى، فأما الأسس الخاصة بالاستعمار فيمثلها مركب التفوق الذي يتميز به الاستعمار الفرنسي ، وقد اتخذ الاستعمار من هذه الصفة مبدأ أساسيا في ممارساته العامة والتربوية ، حيث كان ذلك مبررا لقيامه بمجموع الأساليب التدميرية للمجتمع الجزائري.

نذكر كذلك إضافة إلى الأسس الخاصة بالاستعمار أهمية التربية في عملية الاستعمار ، بحيث أدرك الاستعمار أنه لن يتمكن من تفكيك المجتمع و التحكم فيه إلا إذا سيطر على التربية ،لأنها وسيلة فعالة تحدد نمط الحياة في المجتمع .

إن فهم ودراسة الاستعمار الفرنسي لهذه العملية مكنه من التفطن لمواطن الضعف و النقص في المجتمع

[3] بن مرسلي حسين : " الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري " رسالة ماجستير في علوم التربية ، جامعة الجزائر.1992 .ص : 45.(بتصرف)

الجزائري وبالتالي تدعيم مشروعه التربوي الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاستعمار كالمبشرين مثلا. وبذلك انطلق المشروع التربوي الاستعماري من وجهة نظرمنفعية بحتة.

وأما الأسس العامة ، فتحددها وضعية التربية في الجزائر في تلك الفترة ،بحيث كان التعليم قبيل مجيء الاستعمار مؤد يا لوظيفته الاجتماعية بصفة جيدة و فعالة بالرغم من بساطته ، إذ كانت المدارس منتشرة بعدد لا بأس به في جميع أنحاء البلاد و في شتى مراحل التعليم .

3- مكونات المشروع الاستعماري:

لقد لخص مصطفى زايد (1) الأسس التي اعتمدتها السياسة الفرنسية في الجزائر المتمثلة في النقاط الأربع التالية:

- تفقير السكان الجزائريين ,وهو مايقابله رفع مستوى معيشة الأروبيين .
- تجهيل السكان الجزائريين,مقابل رفع المستوى العلمي للأروبيين.
-تنصير الجزائريين والحط من شأن الإسلام والمسلمين.
- تبجيل اللغة العربية باللغة الفرنسية.

ونرى أن من أهم مكونات هدا المشروع الاستعماري مايلي:

1-التنصير:مباشرة بعد الغزو الفرنسي للجزائر تم الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي تمول الخدمات الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية للجزائريين,وشرع في تطبيق مخطط تنصير الشعب الجزائري حتى يسهم عليه

أمر استغلاله وحتى ينتزع منه تعاليم الإسلام التي تدعو الى الجهاد.وهكذا كما يقول صالح فركوس]2[« صار احتقار الدين الإسلامي وشريعته السمحاء جزءا أساسيا من التفكير الصليبي الاستعماري الذي لم يكتفي فقط بانتهاك ودوس كرامة الانسان الجزائري.بل داس كل مقدسات الامة محول المساجد إلى كنائس والمحاكم الاسلامية الى منازل للضباط الفرنسيين ,وهكذا فقد شجعت الإدارة الفرنسية مند البداية عملية التنصير وأنشأت أماكن خاصة بالآباء البيض عبر التراب الوطني ليباشروا أعمالهم في بث الخرفات والتشويه والتشكيك في المعتقدات

]1[مصطفى زياد : « التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر» .1986 .ص 103:

]2[صالح فركوس .« أصالة وتغريب» . دلر الكوثر للنشر .الجزائر . 1991 ص :46 .

الإسلامية.». وقد تزامن قدوم هؤلاء الآباء البيض كما يقول عمار قليل[1] « مع حدوث أكبر مجاعة في تاريخ الجزائر سنة1867 والناجمة عن عواقب مكافحة الاستعمار ,والحروب الجارية هنا وهناك ضده , وما أعقبه ذلك من حرق للمحاصيل

ودمار , للآبار المخصصة للزراعة والشرب .

.....وقد استغلت السلطات الفرنسية هده الظروف, حيث كان يتم استدعاء الأهالي إلي الكنائس ويقترحون عليهم ترك الدين الإسلامي مقابل الحصول على شيء من الطعام»

إن هذا الحقد الاستعماري الصليبي على الجزائر العربية الإسلامية راجع للدور الكبير الذي لعبته الجزائر خلال حقبات عديدة من تاريخها في صد الهجمات الصليبية ضد البلاد الإسلامية , وخاصة بعد سقوط غرناطة (1495)

2-التجهيل: بعد أن تأكد لفرنسا استحالة تنصير الشعب الجزائري ودللك لتمسكه الشديد بأصالته ودينه, اتجهت إلى أسلوب التجهيل, بحيث أغلقت المدارس الإسلامية وتلك الخاصة بتدريس اللغة العربية. كما لجأت إلى بث

الخرافات بين الناس . وقد لعبت الزوايا التي حرف دورها في هده العملية دورا كبير,وقد كانت هده الزوايا تخضع لمراقبة خاصة ودقيقة من طرف السلطات الفرنسية, وكان دور الزوايا خطير وكبير من حيث تخدير الشعب وا بعاده عن قواعد الدين الصحيحة الذي يحث على الجهاد. وهكذا تفشى الجهل والأمية بين الجزائريين, ويقول عمار قليل « [2] إن هده الوضعية بقيت حتى مطلع القرن التاسع عشر مع ظهور العلماء المصلحين وظهور الحركة الوطنية. وبالتالي عملت فرنسا على تجهيل الجزائريين وتجديدهم من أصالتهم ومحو ثقافتهم العريقة ودفعتهم إلى الحياة بأساليب بدائية متوحشة.بحيث كان للقضاء على المساجد دور مهم في هده العملية لما لأهميتها في نشر العلم والتوعية ومختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية

كما يرى محمد العربي ولد خليفة [3]إن هذه السياسة عملت على إيصال الجزائريين إلى مرحلة التحييد الثقافي أي تجهيلهم. بمبادئ ثقافتهم وطمس معالم حضارتهم من جهة ,ومن جهة أخرى جعلتهم غير قادرين

[1] عمار قليل :« ملحمة الجزائر الجديدة» . دار البعث . قسنطينة .ج 1.ط1 .1991, ص : 37.

[2] عمار قليل . مرجع سبق ذكره . ص :

[3] محمد العربي ولد خليفة :« ملاحظات أولية حول تأثير المدرستين التقليدية والاستعمارية في نظامنا التعليمي الراهن» . مجلة سيرتا : العدد : 02 . نوفمبر ص : 97 – 104 (بتصرف) .

على استصعاب التراث , وانعكس ذلك سلبيا على نتائج تعليم الجزائريين , إذ يذكر الكاتب أن بعد مائة سنة من الاحتلال لم يتكون في المدرسة الفرنسية سوى 32 طبيبا , 10 أطباء أسنان و35 صيدليا و509 معلما.

3-التعليم: تطور المدرسة الفرنسية.

لقد كان التعليم خلال الفترة الأولى يلقى داخل مؤسسات كالكتاتيب والزوايا سنة 1871ب2000 مؤسسة موزعة في جميع أنحاء القطر. وقد ساهمت هذه الزوايا والكتاتيب في تحفيظ القرآن الكريم ونشر الثقافة العربية الإسلامية. وإضافة إلى تلك الزوايا والكتاتيب كانت توجد مدارس دينية مسيحية تأسست سنة 1878 يسيرها مسيحيون كانوا يدعون أن مهمتها تربوية مهنية ولكنها في الحقيقة لا تخلو من الطابع التبشيري والسياسي.

كما أنشئت ثلاث مدارس حكومية بقسنطينة والجزائر وتلمسان تهدف إلى تكوين مرشحين إلى الوظائف الدينية والقضائية والتعليمية والإدارية. وإلى جانب دلك كان هناك نوع من المدارس سمي بالمدرسة العربية الفرنسية [1]

وانطلاقا من سنة1883 [2] ظهرت نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين ولكن العملية لم تمس العدد الكبير من الأطفال الجزائريين ولكن هده الفكرة لاقت استنكار واسعا من طرف الجالية الفرنسية وهدا راجع– حسبهم– إلى أن العلم والمعرفة من العوامل التي تساعد الأهالي على إجلاء المعمرين. ونتيجة لذلك فقد اقتصر التعليم على القراءة

و الكتابة.وعلى ابواب الحرب العالمبة الأولى رفض المعمرين كل المشاريع الهادفة إلى إنشاء مدارس خاصة بأبناء الجزائريين ولكنهم كانوا موافقين على إنشاء تعليم مهني او زراعي تمهيني لتكوين اعوان يخدمون مصالحهم.

أما على مستوى التعليم الثانوي فكان لا يقبل من الجزائريين سنويا في هده المرحلة من التعليم إلا العدد القليل جدا. وفي الفترة الممتدة بين 1954و1962 [3] تم تشييد عدة مدارس لتعليم العديد من الأطفال وقد قامت جمعية العلماء بعدة إجراءات كإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف الدول الإسلامية . وهنا عاود الاستعمار محاربته للغة العربية ومنع تعليمها , وأغلق المؤسسات التربوية الخاصة . فعلى مستوى التعليم الابتدائي كانت لا تدرس إلا في مؤسسات حكومية قليلة وبتوقيت منخفض جدا.

[1]محمد العربي ولد خليفة . مرجع سبق ذكره : ص 105 .
[2] محمد العربي ولد خليفة. مرجع سبق ذكره: ص106 .
[3] محمد العربي ولد خليفة .مرجع سبق ذكره. ص 106 .

4-أهداف المشروع الاستعماري:

كما وإن أشرنا ,فقد هدف المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر إلى طمس الشخصية الوطنية وإحلال ثقافة فرنسية موالية محلها , وقد عمل الاستعمار على تحقيق هذه الأهداف على مستوي المقومات التالية :

1-الدين: لقد حاول الاستعمار إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم حتى يصبحوا مسيحيين أي إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر. ويقول رابح تركي أن السياسة التنصيرية للجزائريين تجلت في تصريح فرنسا « غداة احتلالها لعاصمة الجزائر عام 1830 بأن من جملة أهدافها من وراء عملية غزو الجزائر هو العمل على نشر المسيحية فيها والقضاء على الإسلام » [4]

وبالتالي فقد إحتضت فرنسا في الجزائر سياسة تبشيرية وقد تعاونت بصفة كبيرة مع الهيئات التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم من أجل القضاء على الاسلام الذي عرقل المحاولات الاستعمارية لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية . وهذا ما يوضحه أن شؤون الدين الإسلامي وتعليمه ظلت طيلة فترة الإستعمار خاضعة للسيطرة الفرنسية . الاسلامية وإلى تحويل العديد من المساجد , ومن بين تلك المساجد مسجد كتشاوة بالعاصمة , وجامع الباي بقسنطينة ولقد كان للغزو الاستعماري الصليبي على الجزائر آثار عميقة على حياة الأمة الإسلامية عامة , فقد فرض هذا الغزو ثقافته وقانونه وقضائه .

2- اللغة: كما شرع الاستعمار مند السنوات الأولى للاحتلال إلى محاربة اللغة العربية حتى أنه اعتبرها لغة أجنبية في برنامج التدريس ومنع تعلمها في مؤسسات التعليم الفرنسية كانت أو حرة إلا من خلال ترخيص من قبل الإدارة الفرنسية. كما تمثلت محاربة الاستعمار للغة العربية خلال مراحل التعليم , من خلال عدة إجراءات مثل فرنسة التعليم الابتدائي وجعل اللغة العربية أجنبية , واختياريه في المراحل الأخرى .

وكان الهدف من فرنسة التعليم الابتدائي الأولي هو أن تتكون شخصيات الأطفال تكوينا مخالفا لقوميتهم و وطنيتهم وثقافتهم العربية الإسلامية.

وبالتالي فقد جعل الاحتلال كما يقول تركي رابح]4[من المدرسة سلاحا ماضيا لها اللغة العربية التي هي إحدى

[4] رابح تركي : التعليم القومي والشخصية الجزائرية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . ط 2 . 1981 , ص : 109 .
]4[رابح تركي . مرجع سابق ذكره . ص : 332 .

المقومات الأساسية للشخصية الإسلامية.

3- التاريخ :كان تاريخ الجزائر ببعده العربي الإسلامي وهو من المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية , قد تعرض هو الآخر لمحاربة من الاحتلال وقد تمثلت هده الحرب حسب تركي رابح]5[

في الأمرين التاليين :

- رفض تعليم تاريخ الجزائر في ظل العروبة و الإسلام لأبناء الجزائر في المدارس الفرنسية التابعة لإدارة الاحتلال إلا في نطاق محدود جدا ومن و جهة النظر الاستعمارية , و استبداله بتدريس التاريخ الفرنسي في جميع مراحل التعليم واعتبار تاريخ فرنسا هو التاريخ القومي والوطن للجزائريين بهدف القضاء على الشخصية الجزائرية ,ومنع معاهد التعليم العربي الحر من إدخال مادة التاريخ الجزائري العربي الإسلامي في برامجها .

كما عمل أيضا على تشويه قدر معين تسمح إدارة التعليم التابعة للاحتلال بتدريسه لأبناء الجزائر حتى يخدم مصالح الاحتلال في محاولة مسخ الشخصية الوطنية للجزائر. والهدف من ذلك هو محاولة إقناع الجزائريين بأن بلادهم لم تكن لها شخصية قومية في التاريخ.

5 – الثقافة : لقد رمت سياسة فصل الجزائر عن العالم العربي وفرنسة التعليم والادارة , ونهب التراث الوطني العربي الإسلامي ومحاولة تشويه التاريخ الجزائري إلى تحقيق هدف واحد وهو القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر . وقد حقق التعليم العربي الحر نجاحا كبيرا في مجال إحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر, حيث عمل على ربط الجزائر ثقافيا وحضاريا بالثقافة العربية الإسلامية.

الجهود المبذولة :

ناضلت كل من النخبة التقليدية و النخبة الجديدة الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر في 1830 في حدود إمكانية كل طرف . فالنخبة الأولى ناضلت الاستعمار الفرنسي بواسطة الأدب الشعبي القصص الوطنية . وكانت هذه النخبة أي التقليدية أو المحافظة تتكون من المثقفين التقليدين أو العلماء, ومن المحاربين القدماء ومن زعماء الدين و من الإقطاعيين و المرابطين ....و غيرهم . و تمثلت محاربة هذه النخبة للاستعمار

الفرنسي في معارضتها الشديدة للتجنيس و الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي . و كذلك عارضت محاولة التجديد على الطريقة الأوروبية

]5[رابح تركي . مرجع سابق ذكره . ص : 132 .

,أي الفرنسية التي تحمس لها زملائهم من النخبة الجديدة . و جماعة النخبة التقليدية تكونت كما رأينا المدارس القرآنية و المدارس العربية –الفرنسية و المدارس الإسلامية الحكومية و كذا بعض المدارس و المساجد و الجامعات خارج القطر الجزائري . أي في كل من المغرب و تونس و المشرق العربي عموما .(1)

1- وسائل المشروع التربوي لجمعية العلماء:

قامت جمعية العلماء بدراسة جيدة للمشروع الثقافي الفرنسي وحاولت فهم التطور التاريخي للمجتمع الجزائري ولذلك لما حاولت التصدي لهدا المشروع الاستعماري اختارت أنجح الوسائل فاعتمدت على المسجد ولما له من دور كبير في حياة المسلمين لأنه له بعد روحي في حياة المجتمع الجزائري ،اعتمدت كذلك على وسائل حديثة هي موازية للمشروع الفرنسي مثل الصحافة ،النوادي ،المدارس . لان جمعية العلماء دخلت معركة مع فرنسا وكما هو معروف وجب أن تفكر بمنطق العدو كي تصل إلى غلبته .

وتمثلت هده الوسائل في المسجد ،الصحافة ، النادي ،المدرسة وسنحاول شرح كل وسيلة :

1-المسجد: تعتبر المساجد في المجتمعات الإسلامية ،بالا ضافة إلى كونها مكان عبادة ،مدرسة يتعلم فيها الصغار مبادئ دينهم ويتفقه فيها الكبار، وقد كان في الجزائر يتبوأ مركز الصدارة في الاتصال بالشرائح المختلفة للشعب الجزائري، باعتباره المؤطر للكثير من النشاطات الاجتماعية (التويزة).

إن جمعية العلماء لم تتوقف عند المطالبة باستعداد المساجد, بل قامت ببناء مساجد, لأنها تدرك العلاقة بين المسجد و البناء النفسي الإسلامي, و تدرك نتيجة إحياء هذه العلاقة و هي تدفع الأمة لإعادة بناء ذاتها الإسلامي . وبالتالي فهي تحاول بعث الشخصية الوطنية من جديد في صورتها الصحيحة بامتدادها التاريخي العربي الإسلامي .

لذلك كان المسعى الأول للجمعية استعادة المساجد لتعيد لها ماضيها المشرق في الدعوة و تأليف القلوب و توحيد الكلمة

2- الصحافة : إضافة للمسجد " لقد اعتمد ت جمعية العلماء على الصحافة لتبليغ دعوتها , و توعية الرأي العام , فأنشأت نشرات أسبوعية و مجلات شهرية " فقد أدركت الجمعية ما للصحافة الاستعمارية الفرنسية من خطر كبير , فقامت بإنشاء مؤسسة صحفية للتوعية و التثقيف كرد على الصحافة الفرنسية .

(1)عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر دار الامة للطباعة و النشر –الجزائر ط 2010 ص 270

وسبب استخدام الجمعية للصحافة كونها أداة مهمة لمخاطبة الجماهير الشعبية كونها وسيلة إعلامية حديثة و فعالة لإيقاظ و توعية الجماهير .

3- النادي : و من المعروف في العالم أ ن لكل ناد مهمة خاصة ، أما النادي في الجزائر فله مهمات باعتباره مركزا من مراكز التربية و التعليم و التوعية ،و مكان لقاء كل الشرائح الاجتماعية ،وقد قدم النادي خدمات كبيرة في مجال التوعية السياسية و نشر الثقافة الأصيلة.

4-المدرسة:بفضل بناء المدارس الجمعية خرجت عن الطرق التقليدية بتجهيزها بوسائل عصرية، ترغب الأطفال في تعلم دينهم و لغتهم وقد بلغت شوطا عظيما حتى أنها نافست المدارس الرسمية الفرنسية، مما جعلها تتعرض لمضايقة الإدارة الفرنسية.

2- جهود حزب الشعب الجزائري التعليمية:

لقد طبع حزب الشعب الجزائري الحياة السياسية في الجزائر بالطابع الوطني الثوري،لذلك فقد جعل من اهتماماته نشر التعليم العربي،وهذا حتى يثير اهتمام الجزائريين بمقومات الشخصية الجزائرية،والدفاع عنها،فقد طالب بنشر التعليم العربي وجعل اللغة العربية رسمية في التعليم الحكومي الذي كانت تشرف عليه الادارة الفرنسية

ومن هنا سعى حزب الشعب إلى المساهمة–كما يقول رابح تركي في نشر التعليم العربي،فأسس لذلك عددا لا باس به من المدارس الابتدائية في العاصمة وفي بعض المدن الأخرى،كما أنه أرسل عددا من الطلاب على نفقته للدراسة في جامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بالمغرب وفي بعض الجامعات العربية الأخرى في المشرق العربي.

مقررات مدارس حزب الشعب:

تجدر الإشارة إلى أن هناك اختلاف في نمط التعليم بين كل من حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء المسلمين. نستطيع أن نلمح الى هذا الاختلاف من حيث مدة التعليم مثلا،فبينما تمتد مدة الدراسة الابتدائية في مدارس جمعية العلماء إلى ست سنوات،فهي لا تتجاوز الأربع سنوات في مدارس حزب الشعب الجزائري. فكذلك الشأن فيما يخص عدد الحصص الدراسية الأسبوعية،اد تمتد في مدارس جمعية المسلمين إلى ثلاثين ساعة، أما في مدارس حزب الشعب فهي تصل إلى الاثنين والثلاثين ساعة. ويقسم تلاميذ مدارس حزب الشعب إلى نهارين وقراءة فرنسية في آخر النهار ،ومحتوى برامجه التعليمية متنوع،حيث يتم تدريس العديد من المواد كالدين ،واللغة العربية والحساب والتاريخ والجغرافية والصحة والتربية الأخلاقية والخط العربي إضافة إلى الأعمال اليدوية و الرسم والأناشيد والتربية البد نية.

وتشكل الكتب إحدى المقررات الدراسية التي اتخذتها مدارس هدا الحزب وسائل لعملية التعليم،وما يمكن أن نقول مشابهة للجمعية.

خاتمة :

ظهر الموقف الوطني الرافض للمدرسة الفرنسية جليا في العهد الجمهوري الذي تبنى تطبيق التعليم الفرنسي الإجباري على الجزائريين . و اشتد هذا الموقف عندما فرض الجمهوريون البرامج التعليمية الفرنسية متجاهلين التعليم العربي الإسلامي(1) .

إن التيارين الاستقلالي والإصلاحي قد رفضا المشروع الثقافي الفرنسي لأنها ضمنا برامجها تحمل أبعادا وطنية متمثلة في الدفاع على مقومات الشخصية الجزائرية المتمثلة في الوطن الجزائري – اللغة العربية. الدين الإسلامي ، وعلى غرار ذلك قاما بجهود تربوية وتعليمية للمحافظة على الشخصية الجزائرية وبعثها بعد إحيائها ، والوقوف في وجه المشروع الثقافي الاستعماري ، وقد رفض التيار الاستقلالي المشروع الاستعماري جملة وتفصيلا .

وقد جاء في هذا الرفض كون أن هذا التيار المتمثل في نجم شمال إفريقيا كان متكونا من قاعدة الشعب ، والمعروف أن النجم تأسس في فرنسا على يد أهالي من شمال إفريقيا وأكثريتهم جزائريون ،كانوا عمال كادحين لهم مستوى تعليمي متوسط وهناك من ينعدم منه ،وكان الاستعمار يطلق عليهم اسم " الأهالي " ونلاحظ ما تحمله هذه الكلمة من احتقار وتمييز، وقد كانت هذه الشريحة تعاني الفقر والجهل ... وتحكمها قوانين تعسفية ، فكان أن رفضوا الاستعمار رفضا قاطعا ورفضوا كل ماله علاقة بالمستعمر ومنه المشروع الثقافي إذ فضلوا الجهل والأمية على التعلم في المدارس الفرنسية لأنهم مدركون لخطر هذا التعليم الذي يجردهم من ذواتهم ومن ثم كل شـيء، الأرض والحياة والمستقبل .

(1)عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر دار الامة للطباعة و النشر –الجزائر ط 2010 ص 118

فرفض هذا المستعمر و مشروعه هدفه الأساسي هو تكوين كيان جزائري مستقل ومميز تسوده المساواة والحرية ولا تحكمه القوانين التعسفية .

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد رفضت الطرح الفرنسي المتمثل في مشروعه الثقافي ، لأنّها حركة إصلاحية تعتبر امتداد للحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي والعربي ، كالأفغاني ومحمد عبده وقد تزامن ظهورها واحتفال فرنسا بمائه عام من احتلالها للجزائر وهو يعني –تغريب الجزائر –فكان إنشاء الجمعية

لإصلاح ما أفسده المستعمر ،خاصة وأنه في هذه الفترة بدأت بذور المشروع الاستعماري تعطي ثمارها فجاء إنشاء الجمعية للتصدي للمشروع والعمل على إحياء وبعث الشخصية الجزائرية من جديد .

والمعروف أن جلّ أعضاء الجمعية تلقى تعليمه أو أكمله بالمشروع العربي وتأثر بالأفكار الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وعندما باشروا بالإصلاح انطلقوا من البعد التاريخي العربي الإسلامي لأنهم تأكدوا واقتنعوا على أن هذا هو الإطار الوحيد للشخصية الجزائرية .

فلقد أرادت جمعية العلماء تكوين كيان جزائري مستقل ومتميز ذو أبعاد تاريخية عربية إسلامية.

من خلال هده المداخلة نستطيع أن نخرج بعدة نقاط هي:

– الشخصية الجزائرية هي امتداد للأمة العربية لكنها لها خصوصيتها من النواحي التالية : التاريخ ،اللغة الثقافة ، البيئة الجغرافية (مناخ/ تضاريس).

– إن المشروع الثقافي الاستعماري كانت له " ثمار" في الجزائر وهي وجود فئة مفرنسة كانت تمثل آنذاك النخبة وتنكرت لتاريخ أمتها ولم تساير الحركة التحررية الثورية.

– المؤتمر الاسلامي سنة 1936 كانت نعمة ونقمة في نفس الوقت، نعمة لأنه يعتبر أول تكتل وتجمع وطني ضم حركات من إيديولوجيات مختلفة، ونقصه لأنه يعبر عن التقهقر والتراجع في المطالب.

بحيث تبخرت أمال الشعب في هذا المؤتمر لأنه لم يعبر عن الاستقلال بل كان يطالب ببعض الحقوق.

–ان الملاحظ للحركات التحررية في العالم يجد أن دور المثقفين كان بارزا وفعال أي أن هذه الحركات صاحبها ظهور قوي وقيادي للمثقفين، لكن في الجزائر لا نجد ذلك، وكان دخولهم للتيار الثوري متأخر ونستطيع أن نقول أن المثقفين الجزائريين آنذاك كانوا أكثر قابلية للمعامل الاستعماري أكثر من التيار الاستقلالي الذي كان

أعضائه ذو ثقافة محدودة وبذلك فإن هذه المقولة تنطبق علي الواقع الجزائري قال أحد المصلحين"أخرجوا الاستعمار من أنفسكم يخرج من دياركم".

–يقول ميكافيلي " هناك صنفان من القدرة: قدرة تتغذي من ضعف الشعب ،وقدرة تتغذي من قدرته.

لو نحلل هذه المقولة نجد بأنها تنطبق على الواقع الجزائري، ان القدرة التي تتغذى من ضعف الشعب هو الاستعمار لان ضعف الشعب في خدمة الاستعمار لأن هذا الأخير عمل كل ما يستطيع لإضعاف الشعب ، من إبادة وجراحة اجتماعية

ومحاولة طمس شخصية وإحلال تربية موالية تخدم مصالحه، وبذلك يفقد الشعب ذاته ويصبح كالمشلول لا يستطيع التحرك وهذا يضمن للاستعمار بقائه.

اما القدرة التي تتغذى من قدرة الشعب فتتمثل في التيار الاستقلالي الذي انطلق من القاعدة الشعبية وعبر عن امال الجماهير التي تعاني (الفقر, الجهل, القوانين العنصرية) ومتعطشة للحرية, وبذلك فانه يعتبر تيار جماهيري تكون من الجماهير وتبنى مطالب هذه الاخيرة.

قائمة المراجع:

1- الاشرف مصطفى: "الجزائر الامة و المجتمع ترجمة د. حنفي بن عيسى-المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر .1984.

2- بن نبي مالك :"شروط النهضة". دار الفكر .دمشق-1981.

De landsheere. G : «introduction à la recherche en éducation ».ed. A.colin-Bourrelier ,paris,4emed,1979 -3

4- بن مرسلي حسين:"الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري ". رسالة ماجستر.

Bardin (l) ; l'analyse de contenu , et p.u.f paris 2eme édition, 1980 -6

5- زايد مصطفى:"التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر" ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر-1986.

7- محمّد هاشم إسماعيل : " المقومات الثقافية للمجتمع العربي " .دار النهضة العربية للنشر والطباعة . 1965 .

8- معاليقي منذر : " معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية " . دار أقرأ . بيروت .دون تاريخ .

9- سعد الله أبو القاسم : " الحركة الوطنية الجزائرية " . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر . ج2 .ط3. 1983 .

10- فركوس صالح :" أصالة وتغريب " .دار الكوثر للنشر .الجزائر 1991.

11- قليل عمار : " ملحمة الجزائر الجديدة ." دار البعث .قسنطينة .ج 1.ط1 .1991

12- بوحفص مباركي وآخرون :" كتاب الرواسي 2- قراءات في الاهداف التربوية ". دار الشمال باتنة . ط1 .1994 .

13- تركي رابح :" التعليم القومي والشخصية الجزائرية " .الشركة الوطنية للكتاب .الجزائر .ط2 .1981 .

14- غياث بو فلجة :" انعكاسات التربية الغربية على الشعوب الإسلامية . "دار الكتاب الجامعي .القاهرة .

15- عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر دار الأمة للطباعة و النشر -الجزائر ط 2010

16- بوحوش عمار :" دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية " المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر-1985.

17- مرسي محمّد منير :" الاتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة ." عالم الكتب .القاهرة .1974 .

18- محمّد هاشم إسماعيل : " المقومات الثقافية للمجتمع العربي " .دار النهضة العربية للنشر والطباعة . 1965 .

19- عبد العاطي محمد أحمد " الإسلام و العروبة في المغرب العربي". مجلة " قضايا عربية". بيروت .حزيران يونيو 1979

20- محمد العربي ولد خليفة :« ملاحظات أولية حول تأثير المدرستين التقليدية والاستعمارية في نظامنا التعليمي الراهن» . مجلة سيرتا : العدد : 02